شقوق الزمن

رواية

د.إبراهيم السعيد

إبراهيم السعيد

شقوق الزمن

دار أكتب للنشر

شقوق الزمن

رواية

شقوق الزمن، هي أول إصدار للتكية في مجال الخيال العلمي، بعد مشاركات قليلة سابقة فازت في مسابقتها الأولى عام ٢٠١٠، وكان اختيار قلم "إبراهيم السعيد" من جماعة التكية لابد منه، لأنه قلم له موهبة راقية، عرفناه في رائعته "الحرب والسلام"، فكان القرار بلا ممانعات أن يكون اسمه على أحد إصداراتنا.

وقد كان هذا الكتاب الذي يحتوي روايتين للكاتب، تخطى فيهما الخيال العلمي كمادة حكي جافة، مضفيًا البعد الإنساني، ليجعل الرواية عملا أدبيًا متكاملا، غير معتمد على إبهار الخيال وحده، وإنما يحث القارئ على التعاطف مع أبطاله ومعايشتهم، وإشعاره أن ما أتى به من خيالات علمية جاء كجزء من سياق سلس غير مفتعل، يعالج أمورا إنسانية، تدمج روح القارئ في شخصيات الأبطال، لا تحجزه عنها أجواء الخيال.كذلك أجاد الكاتب الدخول إلى المشهد المستقبلي في هدوء وسلاسة مقنعة للقارئ مجسدة لمسرح الحدث.

وكعادة التكية تصعُب الاختيار، ولا تقدم إلا ما يرتقي لمستوى يضيف للسوق الأدبي، لذا فكلنا أمل أن يحظى هذا الكتاب برضا القارئ، ويكون بداية موفقة للكاتب المميز إبراهيم السعيد.

د.إيمان الدواخلي

تصميم الغلاف: محمد عيد

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice



شقوق الزمن

شقوق الزمن
إبراهيم سعيد
تصميم الغلاف : محمد عيد
رقم الإيداع : ٢٠١٢/٢٢١٨
I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ١٢٩- ٧

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة : ١٠ ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة.
المدير العام : يحيى هاشم
هاتف : ٠١١١٠٦٢٢١٠٣ - ٠١١٤٧٦٣٣٢٦٨
مكتبة اكتب : ٤٠ ش أحمد قاسم جودة من ش عباس العقاد ، خلف سيراميكا كليوباترا ، القاهرة.
هاتف : ٠١١١٤٣٢٨٥٢٥
E – mail :daroktob١@yahoo.com
Facebook : دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ، ٢٠١٣م

شقوق الزمن

إبراهيم سعيد

رواية



دار اكتب للنشر والتوزيع



عصير الكتب
Facebook.com/groups/Book.juice

- اقسم لي أنك ستفعل الأمر الصحيح دائما ..

- اقسم أن أفعل الأمر الصحيح دائما !

- مهما تكلف الأمر..

- مهما تكلف الأمر..



عصير الكتب
Facebook.com/groups/Book.juice



١

الساعة الخامسة مساءً

كلية العلوم جامعة (...)، معمل الكيمياء العضوية

المعمل عبارة عن قاعة واسعة مستطيلة الشكل، في الطابق الرابع من مبنى الكلية، جدرانها بنية اللون، مقسمة إلى قطاعات عرضية بواسطة عدد من المناضد الخشبية الطويلة المثبتة في الأرض، يقسم كل منضدة حاجز خشبي إلى نصفين، وهناك قاعدة خشبية موضوعة فوق الحاجز، وفوقها زجاجات تحوي المواد الكيميائية المستخدمة في المعمل. وعند طرفي كل منضدة، يوجد جهاز لتسخين المياه بالكهرباء، لعمل الأحواض المائية. كما يوجد فوهتان للهب، من أجل التسخين .

وفي جانب المعمل، يوجد دولاب زجاجي، يحتوى على المواد الكيميائية المركزة، متصل بمدخنة لطرد أبخرتها الخطرة للخارج .

وفي نهاية المعمل الدكتور علام منهمكا في إجراء تجربة، ومعه جمال -أحد المعيدين بالكلية - لمساعدته.

الدكتور علام في الخمسين من عمره، جرت معاول الدهر على وجهه فتركت آثارها واضحة، ثم صعدت إلى رأسه فأزالت شعره تماما، إلا بقايا قليلة على الجانبين. بينما جمال شاب في السابعة والعشرين من عمره، وجهه يمت للوسامة بصلة وثيقة، ويضع فمه في دائرة صغيرة من الشعر زادته وسامة.

التقط الدكتور علام أنبوبة اختبار تحوي سائلاً أحمر اللون من الحامل الموضوع أمامه، وأمسكه بيده اليمنى، ثم التقط أخرى تحوي سائلًا شفافًا، وقرب فوهتها من فوهة الأولى قائلا:

- والآن سنضع محتويات الأنبوبة الثانية على الأنبوبة الأولى.

قرن القول بالفعل، ثم وضع الأنبوبة الفارغة في الحامل أمامه، وأمسك الأنبوبة الأخرى من أسفل فوهتها بقليل، مكملا:

- ونقوم برجها لمدة دقيقة ونصف، ونلاحظ تغير اللون.

أدار جمال وجهه للناحية الأخرى، متظاهرا أنه يحضر زجاجة أخرى، ثم زفر في ضيق شديد. إنه يشعر أن هناك أسود جائعة محبوسة داخل صدره، تتمنى أن تخرج إلى علام فتمزقه. لقد أجرى تلك التجربة عشرات المرات من قبل، ويعرفها جيدا؛ ولكن علام مصمم على إعادته شرحها له ثانية في هذا الوقت المتأخر .

هكذا علام دائما يتشاجر مع زوجته، فيخترع أي سبب حتى لا يعود لمنزله، ويجر معه ضحية أخرى -لأنه يكره البقاء وحيدا - كل ما تحلم به هو العودة للمنزل والاستلقاء على السرير بعد يوم عمل

مرهق. ولكن علام هو المشرف على رسالته، لذلك لا يمكنه أن يخالف له حلما .

قاطع علام أفكاره:

- لاحظ تغير اللون من الأحمر إلى الأزرق.. والآن سنضيف خمس قطر ..

وبتر عبارته، عندما سمع صوت أزيز غريب يصدر من أحد الأركان، فقال:

- ما هذا؟

لم يكن جمال يسمع شيئا، فقال:

- ماذا هناك؟

- هذا الصوت الغريب!.. ألا تسمعه؟!

أنصت جمال السمع جيدا، ولكنه لم يسمع شيئا، فصمت ولم يجب، فسأله علام ثانية:

- ألا تسمعه؟

تردد جمال للحظات، ثم قال بلهجة متقطعة:

- لا.. أسمع شيئا!

كان الصوت قد اختفي بسرعة، ففكر علام أنه ربما كان يتوهم هذه المرة. ولكنه أبى الاعتراف بذلك، فأكمل كأن شيئا لم يحدث:

- والآن نضيف خمس قطرات من حمض الكبريتيك المركز إلى المحلول .

وتمنى جمال في تلك اللحظة لو يضيف زجاجة الحمض المركزة كلها إلى صلعته ويرى النتيجة.. ستكون مبهجة بحق !

أضاف علام القطرات، ثم وقف يرج الأنبوبة، حين عاد الأزيز بدويٍ أشد من المرة السابقة، فصاح علام:

- لا تقل لي إنك لا تسمعه هذه المرة أيضا!

لم يكن جمال يسمع شيئا، ولكنه قال اتقاء لغضب علام:

- ربما هو صوت حشرة أو..

قاطعه علام مشيرا نحو أحد الأركان قائلا:

- اذهب وانظر ما هذا !

تحرك جمال نحو المكان الذي أشار له علام، بينما وقف علام ينتظر. والحق، أنه كان ينتفض في داخله، فليست هذه أول مرة يسمع هذا الأزيز الغامض، فالأمر يتكرر بكثرة منذ أسبوعين، يرى أشياء غريبة، ويسمع أصواتًا لا يسمعها أحد غيره.

تشاجر مع زوجته أكثر من مرة.. أخبرها أنها ترى ما يراه وتسمع ما يسمعه ولكنها كاذبة لعينة، فنعتته بالمجنون غريب الأطوار. ولذلك، فهو لا يحب العودة للمترل إلا متأخرا، ليقضي أقل وقت ممكن معها. ولكـــ...

ارتفع صوت جمال ليقطع أفكاره:

- لا شيء هنا.

- هل أنت متأكد؟

كان جمال متأكدا، ولكنه انحنى ينظر للأرض للحظات ليرضيه، ثم اعتدل قائلا:

- نعم متأكد.. لا شيء هنا .

لم يجبه علام، فعاد ووقف بجواره منتظرا ما سيقوله.. فكر علام أن ربما كان الأمر هلاوس بالفعل، كما أخبره صديقه الطبيب النفسي، وكل ما عليه فعله أن يتجاهلها، حتى لا تسيطر عليه .

جذب نفسا عميقا، ثم أغمض عينيه وهمس لنفسه:

- لا شيء هنا.. لا شيء هنا.

أمسك بالأنبوبة، واتجه نحو طرف المنضدة قائلا:

- والآن سنضعها في حمام مائي لمدة سبع دقائق .

وقف الاثنان ينتظران، ورأساهما تموج بالأفكار.. علام خائف مرتعب تأكله الهواجس، وجمال يفكر في الوسيلة المثلى لقتله دون ترك أثر .

وهنا دوى الأزيز بصوت أشد من المرتين السابقتين، وسمعه جمال هذه المرة فصاح:

- ما هذا؟

مزج علام الخوف بالدهشة باللهفة قائلا:

- أنت تسمعه؟

- نعم انه يبدو مثل...

وقطع عبارته، ثم اتجه نحو الركن الذي يصدر منه الصوت، ووقف يفتشه بعينيه.. لا شيء!.. أنصت السمع.. الصوت يبدو قادما من داخل الحائط!.. طرقه بظهر يده طرقات خفيفة، ثم قال

- يبدو أن هناك حشرات محبوسة داخل الحائط، ولكن كيف دخلت؟

تراجع جمال للخلف في ذعر، عندما ظهرت نقاطًا سوداء صغيرة، غطت الحائط بأكمله، ثم بدأت في النمو بسرعة، حتى أصبحت في حجم العملات المعدنية .

صرخ جمال:

- ما هذا؟

وصمت لحظة، ثم أكمل وقد حسم أمره:

- أنا خارج من هنا.

ودون أن ينتظر رد علام، الذي وقف يحدق مذهولا في البقع السوداء، كأنه منوم مغناطيسيا، أسرع نحو الباب. ولكنه فوجئ بالباب يصفق في عنف.. حاول فتحه؛ ولكن دون فائدة.. لقد أصبح كجزء من الجدار!

ومن داخل النقط السوداء، بدأت رؤؤس حشرات غريبة المنظر في الظهور، ثم خرجت بأكملها للخارج، فشهق جمال، وكاد عقله يطير من شدة الفزع .

كانت في حجم الزنابير أو أضخم قليلا، ولها جسد يشبهها، ولكن رأسها كان ضخما، يشبه رأس البشر.. وعيونها حمراء كالدم، وفمها متسع. وسرعان ما ملأت أغلب فراغ المعمل، وهي تطلق الأزيز المرعب.

طرق جمال الباب صارخا:

- النجدة.. ساعدونا.. النجدة!

بينما علام يحدق فيها مأخوذًا متمتما:

- إنهم قادمون من أجلي.. إنهم قادمين مـــ...

حلقت الحشرات نحوه، فصرخ جمال:

- علام..احذر!

وكأنما أيقظته تلك الصيحة، فراح يصرخ في ذعر، ويعدو باحثا عن مكان للاختباء، والحشرات تلاحقه مصطدمة بمحتويات المعمل، محطمة إياها .

وامتزجت ضربات العاملين على الباب في الخارج، محاولين كسره وصيحاتهم—بعد أن جذبهم الصراخ- مع صرخات علام وجمال، وأزيز الحشرات في الداخل، لتصنع سيمفونية مجسمة للرعب .

أخذ علام يضرب الهواء بذراعيه، محاولا إبعاد الحشرات عنه بلا فائدة، ثم أخذ يضرب جسده ليبعد الحشرات، التي راحت تعضه في مختلف أنحاء جسده. وأسرع جمال نحوه محاولا مساعدته في إبعادها، ولكن مجموعة منها هاجمته، وبدأت تعضه، فتراجع صارخا مذعورا والدماء تسيل منه. وأحاطت الحشرات بعلام حتى غطته تماما، ثم بدأت في الارتفاع حاملة إياه معها .

وكمحاولة أخيرة لإنقاذه -ظنها كذلك عقله المشوش -التقط جمال زجاجة حمض الكبريتيك المركز، ثم قذف محتوياتها نحو جسد علام المغطى بالحشرات، ولكن الحشرات ابتعدت في لمح البصر، فأصاب الحمض جسد علام، وتصاعدت في المكان رائحة شواء مخيفة، لتصبح رائحة وجبة الرعب الجاري إعدادها داخل المعمل .

انقضت الحشرات على علام ثانية، وحملت جسده وطارت نحو الحائط، الذي استحال أسود اللون بالكامل. وأمام أعين جمال الذاهلة، اخترقت الحشرات الجدار ومعها علام. وما إن اختفت في الداخل حتى اختفى السواد من الحائط وعاد لونه كما كان

نجح العمال أخيرا في فتح الباب، ليجدوا المعمل محطما تماما، وجمال ملقى في أحد الأركان فاقد الوعي، والدماء تنزف من جراحه، أما الدكتور علام فقد اختفى ..

وبلا أثر!..

٢

اعتدل إيهاب في جلسته على الأريكة في صالة مترله، ثم التقط نفسا عميقا من سيجارته، قبل أن يلقيها أرضا، ثم يسحقها بقدمه على السجادة... هذه الحركة تثير جنون ميادة دائما، ولكن أين هي ميادة؟ لقد ذهبت وتركته.

إيهاب في منتصف الثلاثينيات من عمره، طويل القامة قوي البنية، أسود الشعر والعينين، يرتدي بذلته الرسمية، ولكن أزرار السترة مفتوحة، وقبعته وميداليته ملقيتان بجواره في إهمال .

طوفان غريب يجتاح عقله، أمواجه الفرح والفخر والغضب والحزن والألم!!

مازال يشعر بآثار سهام الانبهار والتبجيل التي وجهت إليه في حفل تكريمه.. المدح من قادته:

"لقد أثبت أنك أسد ابن أسد"، "أنت فخر لجهاز الشرطة كله"....

وعبارات الانبهار من الضباط الأقل رتبة:

"أنت مثل أعلى لنا جميعا"، "لقد قهرت المستحيل...."

قذف سيجارة أخرى في فمه، ثم أشعلها وجذب منها نفسا عميقا.. ولكن الحفل الحقيقي كان ينتظر عودته إلى المترل ..

ميادة ليست هنا.. ونور أيضا ليست هنا!

ميادة نصفه الآخر قد ذهبت، وأخذت معها نور عينيه الذي يرى به.

لم تغضب ميادة فقط، احتضنت ابنتها ثم أخذتها وأغلقت عليهما الغرفة دون كلمة واحدة، ولكنه الآن عرف لماذا كانت قد حسمت أمرها وقررت الرحيل .

رسالتها التي تركتها له تلهبه كعشرات السياط، تمزقه كمئات الأنصال الحادة.. إنها لم تعد تشعر بالأمان معه، لم تعد تثق به، بل لم تعد.. تحبه!.. لذلك قررت الرحيل للأبد!

قبض على الميدالية الملقاة بجواره، ثم قربها من وجهه، وثبتها أمام عينيه، وتطلع إليها للحظات، ثم قال:

- خسرت حياتي وربحتك !

نهض واتجه نحو صورة والده المعلقة على الحائط أمامه، ووقف يتطلع إليها للحظات.. الصورة التقطت لوالده قبل وفاته بعام واحد، وتظهره مرتديا بذلته الرسمية، وعلى وجهه الحزم والصرامة والقوة، نفس النظرة التي تطالعه عندما ينظر في المرآة

-لقد فعلت الأمر الصحيح كما علمتني، وجعلتني أقسم كل يوم أن أفعله دائما، منذ لامست جلدي بذلة الشرطة. وانظر الآن ما حدث لي!

رفع الميدالية والرسالة أمام الصورة مكملا:

- خسرت حياتي وربحت ميدالية.. خسرت زوجتي وطفلتي وربحت ميدالية!

وصمت لحظات، ثم تقاطر الغضب من صراخه:

- هل يرضيك هذا؟ هل يرضيك؟

ظل واقفا يتطلع للصورة كأنه ينتظر إجابته، ثم جلس على الأرض مسندا ظهره إلى الحائط، متذكرا كيف بدأت النهاية..

***

تطلع إيهاب إلى انعكاسات الأضواء المتكسرة على صفحة النيل عبر نافذة الطابق الثاني لمطعم فينوس للحظات، ثم عاد ببصره نحو ميادة الجالسة على الطرف الآخر للطاولة، يتطلع إلى عينيها للحظات، ثم قال:

- أشعر أنني أحلق فوق القمر. لقد استطعنا أخيرا أن نلقي القبض على تامر السبع ، بعد أن حير الإدارة لسنوات .

استمرت في تناول طعامها دون تعليق، فهز رأسه ثم أكمل:

- إنه شعور رائع عندما أخلد للنوم وأنا أعرف أنني قد جعلت الشوارع أكثر أمانا.

وضعت ميادة الشوكة والسكين من يدها، ثم تطلعت إليه قائلة:

- وماذا عن منزلك؟

- ماذا عنه؟

تطلعت ميادة إلى مركب مضيء سابح في النيل للحظات، ثم قالت:

- ألم تفكر كيف أشعر عندما يأتي الليل وأنا وحيدة في المنزل، أفكر فيك.. أفكر أنك ربما.. ربما لن..

وغلبها انفعالها، فصمتت للحظات ثم أكملت:

- إنني أموت في اليوم ألف مرة و..

- مهلا يا عزيزتي مهلا...

- أو حتى تفكر في نور ابنتك..

- عزيزتي!

-يجب أن تأخذ العمل عند...

- ميادة!

قالها رافعا صوته إلى الحد الذي جذب أنظار رواد المطعم الآخرين، فصمتت ميادة، فمد يده واحتضن يدها قائلا في حب:

- عزيزتي.. إننا لم نرسل نور إلى بيت ثريا شقيقتك لنأتي هنا ونتشاجر. لقد أتينا هنا لنستمتع ونقضى ليلة تذكرنا بالأيام الخوالي. هل يمكننا أن نفعل ذلك؟

وصمت لحظة تطلع خلالها إلى عينيها، ثم قال:

- من فضلك!

تلفتت ميادة حولها ثم ابتسمت قائلة:

- حسنا.. فلنستمتع .

صفق بيديه في مرح قائلا:

- هذه هي زوجتي الحبيبة.

شرع الاثنان في تناول الطعام، فخيم الصمت لدقائق، حتى قطعه إيهاب قائلا:

- إنني الآن أسعد رجل في العالم.. ناجح في عملي، وزوجتي راضية عني .

- لا تغتر..

وبترت عبارتها، حينما ارتفع رنين هاتفها المحمول، فقال إيهاب:

- لا تجيبيه.. لا نريد أن يقاطع أحد ليلتنا الخاصة .

نظرت إلى شاشة الهاتف قائلة:

- إنها ثريا شقيقتي! ربما تريدنا لأمر هام..

ودون أن تنتظر رده، ضغطت زر الإجابة، فكان أول ما صافح أذنها هو صوت شهقات وبكاء ثريا، ثم صراخها:

- لقد اختطفوا نور يا ميادة!

- ماذا؟

- لقد اقتحموا المنزل واختطفوها .

ولاحظ إيهاب امتقاع وجهها الشديد، فصاح

- ماذا هناك؟

خفضت ميادة الهاتف عن أذنها، ثم قالت في انهيار:

- لقد اختطفوا نور.





٣

مبنى الأبحاث السرية التابع لوزارة الدفاع(العنقاء)

كما أن العنقاء تنهض من رمادها ثانية، كانت تلك فكرة العميد أشرف العقاد، عندما تقدم مع مجموعة أخرى، بطلب للوزارة للحصول على تمويل لعدة أبحاث يعملون عليها، تساعد على نهوض الوطن وعودته للمقدمة ثانية.. ولكن تم رفض الطلب!

ظلت العنقاء حبيسة، حتى نجح أشرف في الحصول على تمويل من عدد من رجال الأعمال، وبدأ العمل على أبحاثه .

مر عامان دون أي ثمار، ولكن أشرف لم ييأس وواصل العمل .

العام الثالث كان العام الذهبي للعنقاء، ففي بدايته نجحت العنقاء في المساعدة في القبض على واحدة من أكبر شبكات التجسس في المنطقة، عن طريق تطوير جهاز قادر على التقاط موجات الاتصال فائقة الصغر، التي كانت الشبكة تستخدمها .

ثم ضربت العنقاء ثانية، عندما نجحت في تطوير أجهزة لكشف الطائرات الشبح من مسافات بعيدة.

وهنا صدر قرار بضم العنقاء رسميا إلى وزارة الدفاع .

المبنى الرئيسي للعنقاء مكون من خمسة عشر طابقا -منها خمسة طوابق تحت الأرض- ويقع في شارع تجارى شهير. الأدوار العشرة العليا تحتلها شركات شهيرة، تعمل كغطاء للمشروع أما الطوابق الخمسة المدفونة، فهي المقر الرئيسي للعنقاء.

الطابق الثالث تحت الأرض هو المختص بأبحاث الزمكان (الأبحاث المتعلقة بالزمان والمكان) تديره الدكتورة سها أشرف العقاد، وهو مكون من عشر غرف وثلاث ممرات تربط بينهم .

وهناك حجرة صغيرة مغلقة في نهاية الممر الأول، عليها لافتة صغيرة، تقول:الحجرة رقم سبعة.

الحجرة ممتلئة بالأجهزة المعقدة والشاشات المضيئة التي تحتل جدرانها الأربعة، وفي منتصف الغرفة يوجد آلة ضخمة تشبه المجهر، وحتى السقف عبارة عن شاشة ضخمة تظهر خريطة زمنية

كانت الشاشات تظهر منحنيات منتظمة، وهناك مؤشرات حمراء وزرقاء:الحمراء تشير إلى صفر، والزرقاء تشير إلى خمسة، وهناك صافرات منتظمة تنبعث من الآلات.

ظلت الحالة منتظمة لعدة دقائق إضافية.. ثم بدأ الجنون!

دوت صفارة عالية في المكان، دامت للحظات، وكأنما كانت إشارة البدء. أخذت المنحنيات تتراقص، وراحت المؤشرات تدور حول نفسها، كأنها أفعى تحاول التهام ذيلها!

انفتح الباب، ودخل رجلان في معطفين أبيضين، تطلعا إلى ما يحدث للحظات، ثم هتف الأول:

- إنها تعمل.. لقدر رصدته بالفعل !

بينما صاح الثاني:

- إنه يحدث الآن!

ثم أسرع نحو هاتف معلق على الحائط، فالتقط سماعته وضرب رقما قصيرا..

- دكتورة.. سها لقد ظهر!........ نعم لقد رصدته الآلة.





٤

- هل تريدين شيئا؟

نطقت بها ثريا وهى تتجه إلى الداخل، فرفعت ميادة بصرها عن التلفاز واعتدلت في جلستها على الأريكة ثم همست:

- لا

ميادة في الثامنة والعشرين من عمرها، جميلة إلي حد ما، متوسطة الطول، رشيقة الجسد، سوداء الشعر، زرقاء العينين

اختفت ثريا بالداخل، بينما بقيت ميادة تتطلع للتلفاز بعينين لا تريان، والأفكار تتصارع داخل رأسها..

كيف حدث هذا؟ .. كيف انهار كل شي بهذه الطريقة .. بهذه السرعة.. إنها لم تلحظ أي شيء.. لم تلاحظ أية شقوق في سعادتها قبل أن ينهار كل شيء... لحظة واحدة كانت الفارق. كانت غارقة في السعادة وفي اللحظة التالية تجاهد لتخرج من تحت أنقاض الألم. تتذكر كلمات إيهاب:"أنت أغلي شي في حياتي ولن أتردد لحظة في

التضحية بحياتي نفسها من أجلك".. هل كانت تعيش في منزل أكاذيب انهار مع أول ضربة حقيقية؟

هربت الدموع من عينيها، وهي تتذكر آخر موقف جمعهما في الحجرة الصغيرة، وأعينهما حائرة بين الهاتف الموضوع على المنضدة أمامهما وبين الساعة المعلقة على الحائط، والقلق والترقب والتوتر يأكلون وجهيهما، حين قالت له:

- يجب أن تترك جمال كما أخبرك.

رد إيهاب:

- أنت تعرفين أنه لا يمكنني تركه.

صاحت:

- ولكنه قال إنه سيقتل ابنتنا لو لم تفعل !

وقبل أن يجيب، سمعا صوت طرقات على الباب، ثم دخل رجلان في ملابس الشرطة الرسمية، وأحدهما يحمل جهاز لا سلكي في يده. قال الأول ملوحا بجهاز اللاسلكي:

- لم نتلق بعد أية اتصال من أي من الفرق الثلاث.

استدرك الثاني:

- سيجدونها بإذن الله.

خرجت ضوضاء من جهاز اللاسلكي، فرفعه إلى فمه وتحدث للحظات، ثم خفضه قائلا:

- الفرقة الأولى وجدت المكان خاليا

خيم الصمت عليهم للحظات، ثم عادت ضوضاء اللاسلكي..

- الفرقة الثانية وجدت المكان خاليا..

وجوم رهيب خيم على وجوه الواقفين الصامتين، حتى قالت ميادة في تضرع:

- يجب أن تعطيهم ما يريدون.

لم يجبها إيهاب، وخيم الصمت حتى قطعه جرس الهاتف، فانتفض جسد ميادة في عنف، بينما ضغط إيهاب زر الإجابة، فجاءه صوت غليظ:

- لقد انتهى الوقت، ما هو قرارك؟

تجمد الزمن لحظتها، والعيون كلها معلقة بإيهاب، الذي صمت ولم يجب. جاءه الصوت ثانية:

- ما هو قرارك؟

التقط إيهاب نفسا عميقا، ثم قال:

- لن أطلقه .

- إذا فأنت تريدني أن أقتل ابنتك؟

- لن أطلقه.

- حسنا.. لم تترك لي خيارًا .

تطلعت ميادة إلى إيهاب بنظرة ذاهلة غير مصدقة، بينما الصوت يكمل:

- هيا يا سيادة المقدم، قل الجملة: اقتل ابنتي.. ليست عسيرة، هيا قلها، ولكن ليس لي، بل لابنتك.. سأضع الهاتف على أذنها .

صرخت ميادة:

– لا ليس ابنتي.. لا.. نـــــــــــــــــــــــور..

يجب أن تطلقه

لحظات، وجاء صوت نور..

- أبي!

قال إيهاب:

- كل شيء سيكون على ما يرام يا عزيزتي..

قاطعه الرجل..

- لا تكذب يا سيادة المقدم، أخبرها بما أخبرتني.. أخبرها أنك تريدني أن أقتلها.

ضربته ميادة بقبضتها صائحة:

– انقذ ابنتي... ابنتنا... نور

وراحت تتمتم بكلمات غير مفهومة وسط دموعها، بينما جاء صوت نور باكيا:

- انقذني يا أبي !

أطبق الصمت للحظات، ثم جاء صوت الرجل:

- قرارك النهائي؟

هربت دمعة من عين إيهاب، فمسحها بيده، ثم قال:

- لن أتركه.

قال الرجل:

- حسنا يا عزيزتي.. والدك اختار التضحية بك، وأنا لن أرفض له طلبا .

انهارت ميادة على الأرض، وجسدها ينتفض في عنف، في حين سقط إيهاب على أحد المقاعد، وصراخ نور يدوي عبر الهاتف، ثم طلقة رصاص، ثم آخر يهتف:

- هنا الفرقة الثالثة.. لقد قتلنا المجرم، وأنقذنا الطفلة .

عادت ثريا، تطلعت إلي ميادة الغارقة في خواطرها، ثم قررت أن تتركها لها، وجلست تتابع الفيلم.

ثريا في الثانية والثلاثين من عمرها، متزوجة منذ خمس سنوات، وزوجها يسبح في نفط الخليج منذ عام، وليس لديهما أطفال، لذلك أصبحت غرفة الأطفال لنور، تمكث فيها كلما جاءت لزيارتها. وفي داخل الغرفة، انكمشت نور تحت الغطاء، وهي تشعر بالرعب الشديد يحبس أنفاسها، وعيناها معلقتان بدولاب الملابس، وفكرة واحدة تسكن رأسها.. هناك وحش داخل الدولاب؛ إنها تشعر به،

تسمع صوت أنفاسه الثقيلة.. تنكمش في فراشها أكثر، تتمنى لو يبتلعها الفراش .

رأت باب الدولاب ينفتح للخارج ببطء، مصدرا صريرا مخيفا، فتحرك صدرها صعودا وهبوطا بسرعة كبيرة كمصعد في عمارة مزدحمة.. ماذا تفعل؟.. هل تصرخ؟ هل تنادي والدهما؟.. هل..

الصرير المخيف يستمر، حتى استطاعت أن ترى داخل الدولاب.. لاشيء! إنه مظلم كالليل، لا شيء داخله! بدأت أنفاسها تنتظم.. لقد كانت تتوهم ، لا يوجد وحش داخل الدولاب

لكن انزلق صمام أعصابها، وأغلقت عينيها، وراح صراخها يرج المنزل، عندما رأت عينين حمراوين كالدم، ظهرتا فجأة في فضاء الدولاب المفتوح، تحدقان بها.

شعرت بالأيدي القوية تمسك بجسدها وتحاول حصارها، فصرخت بقوة أكثر .

- نور! إنها أنا أمك!

فتحت عينيها ببطء، لترى والدهما جالسة بجوارها على الفراش، تحتضنها بقوة، وخالتها ثريا واقفة بجوارها. فصرخت :

- الوحش يا أمي..! لقد كان قادما نحوي.. وحش مخيف.

ضمتها والدهما أكثر، ومسحت على رأسها قائلة:

- لا يوجد وحوش يا حبيبتي.. لقد كنت تحلمين .

دفعتها نور بعيدا قائلة:

- لا لم أكن أحلم. لقد رأيت عينيه حمراوين كالدم داخل دولاب الملابس .

اتجهت ثريا نحو دولاب الملابس، ومدت يدها لتفتحه، فصرخت نور:

- لا!!!!!

ولكن ثريا فتحت الدولاب، ثم أشارت إلى داخله الخالي قائلة:

- انظري!.. لا شيء.. لا يوجد أي وحوش.

- أقسم لكم.. لقد كان هنا داخل الدولاب .

قالت ميادة:

- حسنا أهدئي فقط يا عزيزتي، وأنا سأبقى هنا بجوارك، ولن يقترب منك أي شيء

احتضنت نور والدهما بقوة، متمنية أن تدخل داخلها ثانية.



٥

لم يغادر إيهاب الشقة منذ ذهب للقاء ميادة عند شقيقتها، ولكنها رفضت السماح له بالدخول. حاول التحدث معها في الهاتف فلم تجبه، استخدم رقما آخر فأجابته، وبمجرد أن عرفت أنه هو أغلقت الهاتف .

سحب نفسًا عميقًا من سيجارته، ثم نفثه في قوة، وكأنه ينفث معه الألم الكامن في صدره.

تطلع إلى الصورة المعلقة على الحائط أمامه، تظهره هو وميادة ونور في إحدى الحدائق في أحد الأعياد.

مسح على الصورة متمتما..

- لماذا يا ميادة؟ لماذا تركتني؟ أنا فقط فعلت الأمر الصحيح.. كيف أترك قاتلا يعود إلى الشوارع مرة أخرى؟ أتعرفين كم تطلب الأمر لنلقي القبض عليه؟ لقد كان شبحا ، ونحن —وبمعجزة - نجحنا

في القبض عليه، وتريدينني أن أطلقه ثانية! تريدينني أن أخون مبادئي؟ أخون وطني؟ أحنث بقسمي، الذي أردده كل يوم؟ أهرب عند الاختبار الحقيقي؟

ثم تطلع إلى صورة نور ..

- وأنت يا نور.. أنت تعلمين أنني أحبك أكثر من نفسي.. أقسم لك أنني أحبك أكثر من نفسي.. أنت تعلمين هذا، أليس كذلك ؟

أخذ يجول في الشقة مثل نمر حبيس.. هذا المنزل الذي شهد أجمل لحظات حياته، أصبح الآن يخنقه بيدي الوحدة الباردة القاسية. هنا كان يجلس يطالع الجريدة، فتأتي نور لتجلس على ساقه فيلاعبها، ولكنها تجذب الجريدة منه فيجذبها بعيدا عنها، فتصيح في غضب، فتخرج ميادة من المطبخ تقطع شيئا ما، ثم تمسح وجهها بظهر يدها لترى ماذا هناك..

كل ركن في المنزل يفوح برائحتهما.. كم يحبهما! الحياة بدونهما لا تحتمل.

ارتفع صوت جرس الباب فهمس:

- من الذي يأتيني الآن؟ أنا لا أريد أن أرى أحدًا .

ثم رفع صوته:

- انصرف..اذهب بعيدا

ولكن الجرس استمر، فنهض متثاقلا نحو الباب.. من هذا السخيف الذي لا يريد أن ينصرف؟

فتح الباب، فوجد شقيقه حسن، الذي بادره بمجرد أن رآه ..

- يا إلهي! تبدو كجثة خارجة من المقابر في زيارة.

أولاه إيهاب ظهره، وتحرك للداخل، فأغلق حسن الباب، ثم تبعه مكملا:

- لماذا تفعل بنفسك هكذا؟

- تتحدث كأنك لا تعرف ما حدث.

- أنا أعرف؛ ولكن هل تظن أن هذا هو الحل الذي سيعيد إليك حياتك، أن تظل جالسا هنا حتى تتعفن؟

في سخرية مريرة رد إيهاب:

- وماذا تريدني أن أفعل؟ أرقص وأغني؟ !

- لا.. أن تنهض مثل الرجال، وتستعيد زوجتك وابنتك .

وصمت لحظة، تطلع خلالها إلى الفوضى المقيمة في الشقة، ثم أكمل:

- تستعيد حياتك.

- أية حياة؟ لم يعد هناك شيء باقٍ لاستعادته.. لقد أخبرتني بذلك.

- إنها حالة طبيعية في مثل هذه الظروف؛ ولكنها ستنسى، ولن تتذكر إلا حبها لك.

- ولكن..

قاطعه حسن:

- لا يوجد لكن.. انهض الآن فخذ حماما، وارتد ثيابك، فنحن ذاهبان لنستعيد زوجتك. لقد اتصلت بثريا وأخبرتها أننا قادمان اليوم.

- ولكن..

- ششش اصمت ..

ثم دفعه نحو الحمام مكملا:

- هيا ادخل ولا تتكلم، وسأجهز لك ثيابك، ولا تقلق.. سنعيدها معنا بإذن الله.

همس إيهاب:

- يا رب!



عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice



٦

العنقاء

غرفة الاجتماعات الخاصة بقسم أبحاث الزمكان

دوت الهمسات في القاعة، بين الرجال الجالسين حول منضدة مربعة الشكل، تحتل أغلب فراغ الحجرة، وأمام كل منهم شاشة صغيرة تعمل باللمس، بينما يوجد في منتصف المنضدة كرة كرستالية تسبح في سائل شفاف، وتتألق بألوان تتغير باستمرار..

- هل تعرف سببا لهذه الجلسة الطارئة؟

- إنها تتعلق بالغرفة رقم سبعة.

- حقا!

- نعم، لقد رصدت الآلة مولد شقٍ جديد.

- ومـــ..

- ... .

ماتت الهمسات عندما دخلت الدكتورة سها إلى الغرفة.. جميلة هي، ولكنه جمال ممزوج ببرودة يبدو الثلج معها أكثر دفئا.. عيناها تنطقان بطموح بلا حدود، والويل لمن يقف في طريقها. وترتدي معطفا أبيض فوق ثياب سوداء .

جلست الدكتورة سها على رأس المائدة، وهي تتطلع إلى وجوه الجالسين..

- دعوتكم إلى هذا الاجتماع الطارئ لأخبركم أن الأمر قد حدث.. انفتح شق زمني جديد .

صمتت لحظة لترى تأثير حديثها علي الجالسين، ثم أكملت:

- ولقد نجحنا باستخدام الآلة في الغرفة السابعة في رصده منذ مولده هذه المرة .

دوت صيحات الحماسة والفرح من الجالسين، فتركتهم لثوان، ثم نقرت بأصابعها على المنضدة، فصمت الجميع. جرت أصابعها على الشاشة المضيئة أمامها، فتألقت الكريستالة باللون الذهبي، وخرجت منها صور ثلاثية الأبعاد في فضاء الغرفة، تمثل ما تتحدث عنه..

- في البداية، رصدت الآلة تغيرًا كبيرًا في طاقة مجرى الزمن ، قفز بمؤشر الطاقة إلى أعلى حد، ثم ارتفعت منحنيات الزمن من المستوى الأول إلى المستوى السابع، ومنحنيات المستوى الثاني إلى التاسع، أما منحنيات المستوى الثالث فبقيت ثابتة.

صمتت لحظة ثم أكملت:

- ثم بدأنا البحث ورصدنا التغير، لنعرف صاحب الشق .

ظهرت صورة نور، ابنة إيهاب في فضاء الغرفة، وأكملت

- نور إيهاب شكري، عشر سنوات، تلميذة في الصف الخامس الابتدائي .

غمغم الدكتور عبد الله:

- إنها طفلة !

لكن سها تجاهلته مكملة؛ بينما ظهرت صورة إيهاب..

- والدها ضابط شرطة في إجازة حاليا .

ثم ظهرت صورة ميادة..

- ووالدتها مدرسة لغة عربية بمدرسة(...) وهي حاليا تقيم مع نور بمنزل شقيقتها.

تلاشت الصورة وخبا تألق الكريستالة..

- وحاليا، يقوم فريق العمليات الميدانية بتثبيت آلات المراقبة في المنزلين، وفى المدرسة، وفى أي مكان تذهب إليه نور .

وصمتت لحظة، مالت خلالها نحو الجميع مكملة:

- هذه الفتاة أصبح لديها ظل جديد الآن!



٧

- إيهاب وحسن قادمان بعد قليل.

نطقت ثريا بالعبارة، فألقت ميادة ما في يدها، ثم التفتت نحوها صائحة في غضب:

- ماذا؟!

- لقد اتصل بي حسن، وطلب مقابلتك فأخبرته أن يأتي...

قاطعتها ميادة صائحة بلهجة ملؤها الاستنكار:

- وكيف فعلت هذا دون أن تخبريني؟

صاحت ثريا:

- لا يمكنني أن أراك تحطمين حياتك وأظل صامتة.

- أية حياة؟ لقد كنت أعيش كذبة كبيرة.

- لا تدعي الغضب يسيطر عليك.. أنت تحبين زوجك و..

- إنه ليس زوجي؛ ذلك اللعين كاد أن يقتل ابنتي .

- إنها ابنته أيضا، ولم يكن يسمح بحصول أي مكروه لها.

- لقد فعل..

دق جرس الباب فقطعت حديثها، بينما نهضت ثريا نحوه قائلة:

- هذا زوجك، وستقابلينه وتتحدثين معه.

ودون أن تنتظر ردها، سارت نحو الباب لتفتحه قائلة:

- أهلا بكما.. تفضلا.

دخل حسن وإيهاب، وقادتهما ثريا إلى غرفة الصالون، ثم خرجت من الحجرة قائلة:

- سأنادي ميادة.

قال حسن:

- ستعود معنا بإذن الله.

وفي الخارج، جذبت ثريا ميادة من ذراعها قائلة:

- هيا إنهما ينتظران

رفضت ميادة في البداية، ثم استسلمت لإلحاحها وسارت معها. دخلتا الصالون. بادرها حسن:

- كيف حالك يا ميادة؟ وكيف حال نور؟

أجابت باقتضاب:

- بخير .

جلس الجميع، وخيم الصمت، لا أحد يعرف كيف يبدأ، ولكن الأعين قالت الكثير..

عينا إيهاب الحزينتان المنكسرتان مع رشفة أمل تتوسلان إلى ميادة، التي تعلقت عيناها الهادئتان بالسقف، وكأنها تراجع جودة طلائه. هذا الهدوء الذي اقشعر له جسد إيهاب.. إنه يعرف ميادة جيدا، تكون في أشد حالات غضبها عندما تكون هكذا .. هدوئها هذا لا يعنى أنها سامحته، بل على العكس يعنى أنها على وشك سلخه حيا! إنه الهدوء الذي يسبق العاصفة..

تبادل حسن مع ثريا النظرات، ثم قال:

- منذ غادرت المترل أنت ونور، وإيهاب يعيش في جحيم لا يطاق. إنه لا يستطيع الحياة من دونكما، فأنتما حياته كلها

بسخرية لاذعة ردت ميادة:

- حقا!

ألجمت سخريتها حسن، فقال إيهاب بسرعة:

- هل عندك شك في حبي لك؟ هل عندك شك أنك ونور أغلي من حياتي؟

قالت ميادة :

- لقد أصبحت أشك في نفسي، والفضل لك.

قالت ثريا :

- بالطبع ميادة تعرف حبك لها، وهى أيضا تحبك ولا يمكنها ..

قاطعتها ميادة:

- لا تتحدثي عنى.. لقد كنت أعيش كذبة كبيرة مع رجل توهمته يحبني .

صاح إيهاب:

- إنني أحبك يا ميادة، وسأظل أحبك حتى آخر نفس.

صاحت ميادة:

- والتضحية بابنتي جزء من حبك لي، أليس كذلك؟

شعر حسن بتوتر الجو، فأسرع يقول محاولا تغيير الموضوع:

- أين نور؟ أريد أن أراها .

ردت بحدة:

- لماذا؟ حتى يمكنه أن يتم عملية قتلها التي فشلت؟

انفعل إيهاب:

- لم أكن أبدا لأؤذى ابنتي !

نهضت ثريا من مكانها قائلة:

- إنها في الداخل سا...

وماتت باقي عبارتها على فمها، وجلست مكانها ثانية، عندما رمقتها ميادة بنظرة تعرفها جيدا؛ بينما قال إيهاب:

- لقد أخبرتك.. كان لدى خطة.

قالت ميادة:

- هذه هي المشكلة.. ابنتك في خطر، وأنت لديك خطة. الخطة الوحيدة التي كانت يجب أن تكون في رأسك هي إنقاذ ابنتك، وليس الاحتفاظ بمجرمك اللعين خلف القضبان.

رد وقد اقترب من اليأس:

- لم أكن أستطيع أن أعيده إلى الشارع ثانية، وأنا أعرف ما سيفعل!

صرخت:

- ولكنك تستطيع فقط أن تضحي بابنتي!

ارتبك إيهاب، فأسرع حسن يقول:

- الحمد لله يا ميادة قدنجحنا في إنقاذها.

قالت باستنكار:

- ضربة حظ، من أدراني أنها ستتكرر؟

قال حسن :

- الحافظ هو الله، ولا راد لقضائه.

زفرت..

- ونعم بالله، ولكنني لم أعد أستطيع الحياة معه.. لم أعد أشعر معه بالأمان الذي وعدني.. بل أشعر أنني وابنتي سنكون أول من يضعه تحت قدميه، عندما يقابله أي أمر!

سارع إيهاب:

- ولكنى أحبك ولا أستطيع...

قاطعته..

- كف عن هذا الهراء.. كل ما تهتم به هو نفسك وعملك وتحقيقك لقسمك .

احتل الصمت المكان لثوانٍ، حتى طرده إيهاب بقوله:

- ولكنكما أهم عندي مـــن كل...

ولكن ميادة لم تدعه يكمل، وقالت في حسم:

- لقد انتهينا هنا.

ثم نهضت من مكانها، وأشارت نحو الباب مكملة:

- والآن اخرجا.. اخرجا من حياتي كلها .

نظر إيهاب نحو ثريا متوسلا، ولكن الأخيرة أشاحت بوجهها في حرج؛ فنظر نحو ميادة، ولكنها بدت له جامدة كالصخر،فجذب حسن وغادرا.

قالت ثريا:

- لماذا فعلت هذا؟ إن زوجك يحبك!

صاحت ميادة:

- لم أكن أريد مقابلته، ولكنك أنت من أصررت على هذا؛ ولا أريدك أن تقولي زوجك هذه ثانية.. هل تفهميني؟

وصمتت للحظات، ثم أكملت في حزم:

- أعرف أن هذا منزلك، تستقبلين فيه من تريدين. ولكن لو استقبلت فيه أحدًا يخصني ثانية دون إخباري، فلن تريني بعدها .

لوحت ثريا بيديها قائلة:

- أنا لم..

قاطعتها ميادة:

-اتركيني وحدي الآن .

غادرت ثريا، فشعرت ميادة أن الدروع التي أحاطت بها نفسها تسقط. إنها مازالت عاجزة عن تصديق ما حدث. إيهاب يفعل بها كل هذا! كل هذه السعادة والحب كان مجرد سراب، مجرد وهم، مجرد بيت متآكل الجدران انهار مع أول صدمة!

أغلقت عينيها والألم يأكل قلبها، فهربت الدموع من عينيها

لحظات، ثم شعرت بيد صغيرة تمسح دموعها، ففتحت عينيها، لتجد نور واقفة بجوارها. ضمتها إليها، فقالت نور:

- هم من جعلوك حزينة باكية، أليس كذلك؟

مسحت ميادة دموعها قائلة:

- لقد ذهبا ولن يعودا ثانية.

قالت نور:

-كنت أتمنى أن يبقى والدي، ويبيت في غرفتي الليلة .

- لماذا؟

- حتى يأتي الوحش المخيف ذو العينين الحمراوين فيأخذه ونستريح منه.. أنا أكرهه كما يكرهنا وأكثر.

- لا يا حبيبتي.. لماذا تقولين إنه يكرهك؟

- لقد سمعته يقول للرجل المخيف الذي خطفني اقتلها فأنا لا أهتم .

ضمتها ميادة إلى صدرها بقوة أكثر ..

- اطمئني يا عزيزتي لن أدع أحد يؤذيك أبدا.





٨

- أنا في غاية السعادة يا أبي .

قالتها ريم ابنة الدكتور عبد الله، وهي تلتهم الأيس كريم أثناء جلوسها معه داخل سيارته الرياضية الزرقاء، في طريق عودتهما للمنزل، بعد يوم قضياه في مدينة الملاهي فمسح عبد الله رأسها قائلا:

- أميرتي الصغيرة تأمر فقط وأنا أنفذ.

- أنا أحبك كثيرا يا أبي .

- وأنا أحبك أكثر يا أميرتي .

- أتمنى أن نكررها ثا..

ثم انقلبت ضحكتها صراخا..

- احذر يا أبي !

فالتفت عبد الله إلى الأمام بسرعة، ليجد سيارة نقل قادمة نحوه بسرعة كبيرة، وضوئها يغشي عينيه، فأدرك أن التصادم واقع لا محالة .

وبدون تفكير، وكلمح البصر، فتح عبد الله باب السيارة المجاور لابنته، ثم دفعها للخارج، متمنيا أن تنجو من الاصطدام القاتل، وتخرج فقط بعض الجروح والكدمات البسيطة من السقطة.

ولكن —وبمعجزة ما - نجح سائق النقل بتفادي سيارته، ومر بجوارها بالضبط، ليسمع عبد الله صوتا - مازال يقتله حتى الآن - ثم خيم الصمت على المكان.

ضغط فرامل، ثم فتح الباب، وهبوط على ساقين من عجين، وجسده كله يرتجف بمنتهي القوة، ليبصر سائق النقل يهرب مبتعدا، بينما انهار هو، فأكمل طريقه زحفا على أربع نحو الدماء التي تغطي الطريق

و..

وانتزعت عبد الله من بحر ذكرياته يد وضعت على كتفه، ففتح عينيه، ليجد صديقه الدكتور عادل واقفا بجواره. قال عادل:

- أين ذهبت؟

- أستعيد بعض الذكريات.

- عنها، أليس كذلك؟

لم يجب عبد الله، واحترم عادل ذلك، فحل الصمت ثالثا لهما، حتى قال عبد الله:

- لا يجب أن يشرب أحد آخر نفس الكأس؛ ليس وأنا أستطيع إيقافه .

- ولكنك لا تستطيع إيقافه.

- هناك تلك الآلة التي صنعناها معا و..

قاطعه عادل قائلا:

- إننا لم نختبرها بعد. وحتى لو عملت، فإن سها لن تسمح باستخدامها .

- سأجد حلا!



٩

استغرقت نور في متابعة الأستاذ صابر، المنهمك في شرح حصة الرياضيات على السبورة البيضاء الكبيرة، التي تحتل نصف الجدار المواجه للطلاب. لكنها التفتت خلفها، عندما سمعت صوتًا غريبًا أشبه بأزيز الحشرات، قادمًا من الخلف. ولكن لا شيء، والجميع منتبهون للشرح، كأنهم لا يسمعون شيئا!

- انظري أمامك وانتبهي .

انتفض جسد نور وهي تلتفت مسرعة مع عبارة الأستاذ صابر المقترنة بضربة بعصاه على الدرجة أمامها، ولكن لحظة.. ما هذا؟! متى كانت عينا الأستاذ صابر حمراوين كالدم هكذا؟ ومتى كانت أسنانه ضخمة كأسنان القرش؟ ولماذا لا يلاحظ الآخرون شيئا؟

خفضت بصرها إلى الكتاب المفتوح أمامها، ولكنها رفعتها ثانية بجسد منتفض بمنتهى الرعب، عندما سمعت صوت عواء قادمًا من الصف المجاور.

نظرت، فوجدت أحد الطلاب في الصف المجاور برأس ذئب يرفعه إلى أعلى ويعوى ثانية.

الدكتورة كاميليا أخبرتها أنها تتوهم، وأن هذا ليس حقيقيا.. ما عليها إلا أن تفعل ما أخبرتها به وسيذهب كل شيء:أغمضت عينيها، كتمت أنفاسها، ووضعت يدها على أذنها، وخفضت رأسها إلى الأسفل مرددة:

- هذا ليس حقيقيا، هذا ليس..

وانتفض جسدها ثانية بأعنف ما يمكن، مع ضربة الأستاذ صابر على الدرج أمامها:

- قلت لك أن تنتبهي أو..

فرفعت بصرها نحوه لتراه يرفع رأسه إلى أعلى، لتكمل تحولها إلى رأس ذئب، ثم خفضها نحوها مكملا:

- نأكلك !

وكأنما كانوا ينتظرون كلمته.. رفع كل الطلاب رؤوسهم الذئبية إلى أعلى، وأطلقوا عواءً جماعيا مرعبا، لدرجة أن نور أوشكت أن تتبول على نفسها.

جمدها الرعب لثوانٍ، ثم أخذت تصرخ كأن شياطين الجحيم تمزقها

١٠

خلعت مديرة المدرسة نظارتها السميكة، ووضعتها على المكتب أمامها، وتطلعت إلى ميادة قائلة:

- مشكلة نور أصبحت أكبر، وأعتقد أنك لن تستطيعين التعامل معها وحدك، ولذلك..

قاطعتها ميادة قائلة في حدة:

- إنني أعرف كيف أعتني بابنتي بمفردي جيدا.

- أنت لا تفهمين.. مشكلة نور تفاقمت، لقد هاجمت زملاءها في الفصل بحجة أنهم مستذئبين يريدون أكلها، فجرحت اثنين من الطلاب، وكادت تفقأ عين الثالث، لولا تدخل الأستاذ صابر.

انهزمت ميادة، وانكسرت نبرتها..

- أنا آسفة للغاية !

- أولياء الأمور مستاؤون للغاية مما حدث، وتقدموا بشكاوى، ولكنني نجحت في تسوية الأمر معهم .

- شكرا لك.. وأكرر أسفي العميق، لن يتكرر هذا ثانية.

تابعت المديرة، كأنها لم تسمعها:

- لا يمكنني أن أسمح بتكرار ما حدث في مدرستي ثانية. إنها تبث العنف في نفوس زملائها، وتزرع فيهم الوساوس والهلاوس .

- بالفعل نذهب لطبيبة نفسية. لقد قالت إن هذا بسبب التجربة التي مرت بها، وقالت أيضا أنها تحرز تقدما ملحوظا وأنها ستكون بخير خلال فترة قصيرة .

- وحتى تنهي العلاج، فستكون نور في إجازة. يمكنها خلالها متابعة الدروس عبر الإنترنت ولكنها لن تعود حتى تمام علاجها .

- ماذا! لا يمكن أن...

قاطعتها المديرة قائلة:

- هذا أقصى ما يمكنني فعله مراعاة لظروفها. لو أن طالبًا آخر فعل ما فعلته لفصلته على الفور .

ثم نهضت معلنة انتهاء المقابلة، فنهضت ميادة قائلة في استياء:

- شكرا لك على كل شيء.

لاحقتها المديرة :

- ابنتك تحتاج شخصا قويا يعبر بها هذه المحنة.

فهمت ميادة ما ترمى إليه المديرة، ولكنها لم تجب، وأكملت طريقها للخارج.

كانت نور جالسة على مقعد بجوار الباب، فنهضت حين رأتها، وأمسكت يدها، وسارا سويا لخطوات، ثم قالت نور:

- أنا آسفة يا أمي.. لقد كنت خائفة للغاية.. أنا آسفة .

- لا بأس يا عزيزتي.. كل شيء على ما يرام .

- ماذا أخبرتك المديرة؟

- لا شيء.. ولكن أنا وأنت سنقضي بعض الوقت معا بعيدا عن هؤلاء الحقراء.

١١

اعتصرت قبضتا إيهاب قضبان القفص الصغير الذي يحتجزه، وهو ينقل بصره بين منصة القضاء التي يعتليها والده وأماكن الحاضرين الممتلئة بأناس وجوههم غارقة في الظل. ثم توقف ببصره عند ميادة، الواقفة أمام المنصة تقول:

- إن هذا الرجل الماثل أمامك يا سيدي هو وحش، بكل ما تحمله الكلمة من معان. لقد حطم حياتي أنا وطفلته الصغيرة بكل قسوة وعنف، ودون ذرة رحمة أو تردد. لذلك، فإنني ألتمس عدلك يا سيدي، أن تحكم عليه بالموت، حتى لا يحطم المزيد من الحيوات .

صرخ إيهاب:

- أنا لم أفعل شيئا.. لقد أحببتها وراعيتها، وكنت لها كل ما تحلم به وأكثر .

صراخ مماثل من ميادة:

- كاذب أنك لم تهتم سوى بنفسك فحسب. كنت تستغلنا لتجميل مظهرك ، وعندما شعرت أننا نقف في طريقك، سحقتنا بقدمك دون تردد.

- لا.. أنت كاذبة أنا لم أفعل هذا

- لقد أصبت ابنتك بالجنون

- لا لم..

وصمت الاثنان، عندما ضرب والده بالمطرقة على المنصة قائلا:

- سكوت

ثم ضرب على المنصة ثانية قائلا:

- استدعوا الدكتورة كاميليا.

لحظات، ثم دخلت الدكتورة كاميليا، ووقفت أمام المنصة قائلة:

- أقسم بالله العظيم أن أقول الحق .

صمتت لبرهة ترتب كلامها، ثم التفت إلى إيهاب الماثل في قفصه قائلة:

- هذا الشخص يا سيدي الرئيس وحش، كما وصفته زوجته وأكثر. لقد حطم ابنته الصغيرة تماما. إنها مريضة عندي، ويمكنني أن أخبرك يا سيدي.. لقد أصبحت مجنونة بالكامل .

صاح إيهاب:

- كاذبة!

ردت كاميليا:

- حقا؟..!

قاطعها إيهاب صارخا

- لا لم..

فصرخت ميادة:

- لا، أنت الـــ..

علا الصراخ في القاعة، فضرب والده بالمطرقة صائحا:

- صمتا.

صمت الثلاثة، فنقل بصره بينهم للحظة ثم قال:

- أدخلوا نور..

دخلت نور يصطحبها أحد العساكر، تتخبط قدماها، وتحني رأسها للأمام، فينسدل شعرها المنكوش للأمام مغطيا وجهها. وقفت مع العسكري أمام المنصة، فقال جدها:

- تحدثي إلى والدك .

رفعت نور وجهها وأرجعت شعرها للوراء فانتفض إيهاب من هول ما رأى . . ما هذا؟! لا يمكن أن تكون هذه ابنته!

قالت نور:

- أبي! يحبني.. لا إنه يكرهني.. لا إنه يريد الرجل المخيف أن يقتلني.

صرخ إيهاب:

- لا.. أنا لم أفعل هذا بك!

ثم التفت إلى والده مكملا:

- أنا فعلت ما أمرتني به.. لقد نفذت القسم الذي جعلتني أقسمه كل يوم، والآن تحاكمني!.. يجدر بك أن تحاكم نفسك أولا، فأنت من علمني.. أنت الـــ..

قاطعه والده قائلا:

- وأين عقلك؟ ألا تفكر؟ ألم تفكر أن الأمر الصحيح هو أن تحمى عائلتك؟ الأمر الصحيح هو أن تنقذ ابنتك؟ إن المجرم ستمسكه ثانية طال الزمان أو قصر، أما ابنتك البريئة إذا ماتت فكيف ستعيدها؟

بهت إيهاب ولم يجب، فقالت ميادة:

- أنه لم يفكر بها أصلا.. كل ما يفكر فيه هو مجده الشخصي .

صرخ إيهاب:

- لا.. لقد فكرت فيها، ولكنني لم أستطع أن أعيد قاتلا إلى الشوارع، كي يقتل المزيد من الناس. لم أستطع أن أفعلها.. لقد اخترت حياة الناس على حياة ابنتي.

صاحت ميادة:

- أنت لست إلها لتختار من يحيا ومن يموت !

غطى إيهاب وجهه بكفيه، متمتما بصوت مختنق بالبكاء:

- لم أستطع.. لم أستطع..

ضرب والده بالمطرقة وقال:

-بناء على ما تقدم، فإنني أجدك مذنبا..

وصمت لحظة، ثم أكمل:

-وأحكم عليك بالحرق حيا .

صرخ إيهاب:

- لا!!!!!!!!

بينما صرخ الباقون:

- يحيا العدل!

وأسفل القفص، انفتحت الأرضية، ليجد إيهاب جحيما من النيران أسفله، والقفص يتحرك ببط نحوه، فصرخ بمنتهي الذعر، بينما صفقت نور بيديها قائلة:

- والدي سيحترق!

وراح القفص يهبط ببطء، حتى وصل النيران، فشعر إيهاب بالنار تحرق قدميه، فصرخ بمنتهى القوة و..

واستيقظ، ليجد نفسه على أريكة في شقته، والسيجارة المشتعلة تحرق أصابعه، والعرق الغزير يغمر جسده، فجذب شهيقا عميقا.. لقد كان كابوسا مرعبا للغاية.

ظل جامدا للحظات، ثم همس غير مصدق

- أنا.. أنا تحرقونني حيا! أنا بعد كل ما فعلته! ماذا ستفعلون تامر الينكم إذن؟ بالتأكيد ستكرمونه، أليس كذلك؟ إنه يستحق التكريم، لأنه أراكم الوحش الذي يعيش .

نهض من مكانه، واتجه نحو صورة والده، وقف أمامها قائلا:

- هلم يا والدي، فلتكرمه وتحرقني حيا، لأنني نفذت ما علمتني إياه.

وصمت لحظة، ثم قال:

-فلتر إذا ما سأفعل بك!

وانتزع الصورة المعلقة على الحائط، ثم ألقاها أرضا بكل قوته، ليتحطم زجاجها. ثم التقط الصورة، وبدأ شقها لنصفين، ولكن توقفت يده قبل أن يكمل شقها..

- لا أستطيع !

وضع الصورة جانبا، وجلس بجوارها، وأسند رأسه إلى الجدار.

- يا إلهي! ماذا فعلت؟ ماذا فعلت بابنتي الصغيرة؟ والآن ماذا فعلت بوالدي؟...

وعبر شاشات المراقبة في مقر العنقاء، تطلع رجل المراقبة كريم إلى صورة إيهاب على إحدى الشاشات، ثم قال في سخرية:

- إذا فهذا هو ضابط الشرطة الهمام، يدخن كمدخنة، ويتحدث إلى قطع الأثاث طوال الوقت. من الأفضل أن تبدأ بنحت التمثال الخاص بي.

تطلع ياسر إلي الشاشات الكبيرة أمامه، والتي تنقل كل ما يحدث في منزل إيهاب وثريا والمدرسة، وأماكن أخرى تذهب إليها نور..

- لا عجب أن زوجته قد أخذت ابنتها وهربت.

- وأنت يا ياسر، لماذا هربت زوجتك؟

ابتسم ياسر:

- زوجتي المخبولة تظنني جاسوسا، بسبب كل السرية والغموض اللذين أحيط بهما عملي، حتى أنها هددت بالإبلاغ عني .

- إنها مخبولة بالفعل .

وصمت لحظة تطلع خلالها للشاشات، ثم أكمل:

- ولكنها ليست مثل صاحبنا هذا.

صاح عبد الله في غضب:

- كفا عن السخرية منه.. إنه بطل بالفعل

بسخرية قال كريم:

- حقا! لا يبدو لي بطلا.

قال عبد الله:

- هذا الرجل هو من قبض على تامر السبع، الرجل الذي أرعب مصر لسنوات، واختطفوا ابنته وهددوه بقتلها لو لم يساعده على الهرب.. أتعرف بماذا أجاب؟

ودون أن ينتظر إجابة أكمل:

-لقد قال: اقتلها، فلو قتلتها ألف مرة لن أدعه يخرج ثانية.

- وهل يقول هذا الكلام عاقل؟

ثم انفجر الاثنان في الضحك، فامتقع وجه عبد الله للحظات، وزفر في ضيق قائلا:

- لن تفهما أبدا.. لن تفهما.

عاد وجلس في الخلف مغمضا عينيه، محاولا تجاهلهما، حتى قال كريم مشيرا إلى إحدى الشاشات:

- انظرا!

كانت الشاشة تنقل عيادة الدكتورة كاميليا، ونور مسترخية على الشيزلونج، والدكتورة جالسة على مقعد بجوارها قائلة:

- لقد أخبرتك من قبل.. الوحوش غير حقيقية.. ما ترينه هو عبارة عن تخيلات لا وجود لها .

كان بصر نور معلق بنقطة على الحائط خلف الدكتورة، تبدو كأنها بقعة صغيرة تكبر ببطء ..

- كل ما عليك فعله عندما تريها هو أن تغمضي عينيك، وتعدي من واحد إلى عشرة، وتقولي هذا ليس حقيقيا.. وعندما تفتحي عينك...

بترت عبارتها عندما رأت نور مغمضة عينيها وتهمس بالأرقام، فقالت:

- ما الذي تفعلينه؟

- إنني أفعل كما أخبرتنيني

- لماذا؟

- أنا أراهم الآن

- أين؟ لا يوجد شيء.. أخبرتك...

قاطعتها نور قائلة:

- خلفك .

التفت الدكتورة كاميليا للخلف قائلة:

- لا...

ولكن باقي العبارة ذاب على شفتيها، مع شهقة فزع ورعب مما رأت...

كان هناك طائر يشبه الصقر يخرج من الحائط، إلا أنه أسود اللون بالكامل، ومنقاره أكبر، ويحمل بين قدميه كرة صغيرة. فارتمت كاميليا على الأرض صارخة:

- يا إلهي! إنه حقيقي!

وقفت نور كالمنومة مغناطيسيا، والصقر يندفع نحوها، ثم ألقى الكرة الصغيرة نحو وجهها، وأكمل طريقه نحو النافذة، فحطمها وطار للخارج، بينما اصطدمت الكرة بوجه نور وذاب غلافها بسرعة، ليخرج منها غاز أزرق اللون، ما أن استنشقته حتى تهاوت فاقدة الوعي.

دخلت ميادة، لتجد نور ملقاة فاقدة الوعي، والدكتورة كاميليا تنتفض في رعب على الأرض، والنافذة محطمة..

صاح عبد الله:

- يا إلهي!.. لقد وضع العلامة، لم يعد أمامها سوى ست وثلاثين ساعة فقط.

أسرع كريم يضغط أزرار الاتصال:

- يجب أن أخبر الدكتورة سها.

بينما ضغط ياسر زر بدء العد التنازلي.

١٢

قالت الدكتورة سها:

- نحن الآن أيها السادة قد وصلنا المرحلة الأخيرة، أهم مرحلة في العملية كلها.. لقد تم وضع العلامة، وهذا يعنى أن أمامنا ست وثلاثين ساعة فقط.

وصمتت لحظة ثم أكملت

– إننا نقف على عتبة أهم كشف في العصر الحديث، لذلك لا يمكننا أن نحتمل أية خطأ مهما كان صغيرًا

قال قائد العمليات الميدانية:

- لقد قام رجالنا بزرع الأجهزة الخاصة داخل جسد نور حتى يمكننا مراقبة كل شيء بعد دخولها الشق. إنها ترقد مع والدتها في مستشفي (...) الآن، ولقد تأكدنا من أنها ستقضي الساعات القادمة

هناك، لذلك فهذا هو مكان الشق القادم فجهزنا أجهزتنا الخاصة في الغرفة المجاورة.. كل شيء تم إعداده بمنتهى الدقة .

قالت سها:

- جيد جدا، فلنباشر العمل.

وقف الجميع وهموا بالمغادرة، عندما استوقفتهم صيحة:

- لا يمكننا أن نفعل هذا!

التفت الجميع نحو مصدرها؛ كان الدكتور عبد الله، الذي أكمل:

- لا يمكننا أن نترك الشق يأخذها أمام أعيننا دون أن نفعل شيئا !

صاح أحدهم:

- وماذا يمكننا أن نفعل؟ لا يمكن إيقاف الشق .

قال عبد الله:

- بل يمكننا.. هناك آلة، أعمل عليها أنا والدكتور عادل منذ فترة، يمكنها إغلاق الشق .

قال الواقفون:

- وهل اختبرت هذه الآلة بعد؟

- هل أنت متأكد أنها ستنجح؟

رد عبد الله:

- يمكننا على الأقل أن نحاول.. إنها طفلة! بالله عليكم لن نترك طفلة صغيرة تضيع أمام أعيننا!

-ولكنك لست متأكد..

ضربت سها المنضدة بقبضتها، فصمت الجميع، ثم قالت:

- دكتور عبد الله.. إننا نتعامل مع الصورة الكاملة، لا نتعامل مع أشخاص. شق الزمن أكبر من أي شخص مهما كان.

قال عبد الله

- يمكننا أن نحاول مع شخص آخر.. شخص و..

قاطعته سها قائلة:

-ولكننا لا نعرف متى سيظهر الشق ثانية، ولا إن كنا سنستطيع رصده منذ مولده هكذا ثانية. إن الشق في أيدينا الآن، فلا يمكننا أن نتركه ثم نعود لنبحث عنه لاحقا .

قال عبد الله:

- وماذا عن والدها؟ إنه يظن أنه السبب في كل ما يحدث لها.. ماذا عن والدتها؟.. أترين كم حياة ستتحطم بسبب الشق؟

رد أحد الواقفين:

- أي شخص آخر سيكون له أسرة ومحبين سيتأثرون برحيله.. لو طبقنا مبدأك فمن الأفضل أن نغلق القسم ونرحل .

قالت سها:

-ألا تفكر فيما سنربحه لو نجحنا في السيطرة على شق الزمن؟ ألا تتخيل القوة التي ستكون في أيدينا؟ إنها قوة كفيلة بأن تعيدنا إلى موقعنا الطبيعي..

وصمتت لحظة ثم أكملت:

- إلى مقدمة العالم.

عقب آخر:

- هذا هو الهدف من إنشاء العنقاء من البداية، وأنت تعرف هذا جيدا منذ التحاقك بها .

تابعت سها:

- ولا أحد يستطيع أن يتخيل ما سنطوره لاحقا.. إننا ربما نستطيع تغيير الزمن نفسه!

حاول عبد الله في يأس:

- ولكن..

قاطعته سها بحزم:

- لا يوجد لكن.. فكر أن والدها نفسه كان سيضحي بها من أجل الأمن العام.. هل تعتقد أنه لن يفعل من أجل إنجاز سيضعنا في مقدمة العالم؟.. فكر بها كجندي يضحي بحياته من أجل وطنه؛ أنت عسكري سابق، هل كنت ستتردد في التضحية بحياتك من أجل وطنك؟

قال عبد الله

- أنا أختلف، أنا أملك اختياري.. أما ما تفعلينه الآن فهو إصدار حكم إعدام على طفلة .

قالت سها:

- لو كان حكم الإعدام هذا سيحي وطننا، فأنا سأفعلها .

رد عبد الله نبرة كارهة:

- لا يوجد وطن يبني قوته بإعدام أطفاله؛ فقط قاتلة متحجرة القلب تفعل هذا.

قال عادل ملاطفا:

- الدكتور عبد الله لم يقصد أن..

رفعت سها يدها فصمت.. فقالت:

- أو حتى يقصد.. سأراعي أن انفعاله هذا نتيجة تجربته السابقة، وسأدع الأمر. ولكننا سنكمل المشروع ولن نوقفه، حتى لو اضطررنا أن نقتل ألف طفل.

وقبل أن يتكلم أحد، نهضت من مقعدها مكملة:

- انتهى الاجتماع.

نهض الجميع وبدأوا مغادرة القاعة، ونادت سها:

- دكتور عبد الله ..

اتجه عبد الله نحوها فقالت:

- هذه الطفلة ليست ابنتك، وحتى إنقاذها لن يعيد ابنتك للحياة.

تقافزت شياطين الغضب في وجه عبد الله، وبدا أنها ستقفز إلى سها فتمزقها، ولكن عادل جذبه من ذراعه قائلا:

- هيا بنا، أمامنا عمل كثير.

غادر عبد الله معه، بينما بقيت سها وحدها في الغرفة، وعاصفة من الأفكار تجتاح رأسها. لا يمكنها أن تسمح لأي شخص بإفساد الأمر.. ليس بعدما وصلوا إلى هذا الحد. ربما كانت متحجرة القلب -كما قال عبد الله- ولكن هذا لم يمنعها من تحقيق نجاحات شهد بها الجميع، الكبير قبل الصغير، الأمر الذي جعل الإدارة تختارها —مع أنها أصغر الموجودين- كرئيسة للمشروع. والآن يأتي هذا الأحمق يريد إفساد كل شيء من أجل طفلة تذكره بابنته الصغيرة التي قتلها!

إن العنقاء هي إرثها الحقيقي من والدها.. والدها الذي سخر منه الجميع في بداية الأمر، كما فعلوا معها؛ ولكن نجاحها هذا سيخرس كل لسان شكك به، ويصفع كل وجه أشاح بعيدا عنه، لذلك لن تسمح لأحد بإفساد الأمر، مهما كان الثمن.

ضغطت أحد الأزرار أمامها، ثم انتظرت للحظات.. دخل رجل ضخم الجثة في ثياب سوداء، تطلعت إليه لحظة، ثم قالت:

- إنذار عام.. لا أحد يغادر هذا المبنى بدون أمر مباشر مني.. هل تفهمني؟ أي شخص.

- كما تأمرين يا سيدتي.

أشارت له بالانصراف، فغادر مسرعا، بينما همست سها:

- اليوم يومي، ولن أسمح لأحد بإفساده.





١٣

اعتدل عادل في مقعده وهو يتطلع إلى عبد الله، الذي راح يتجول ذهابا وإيابا داخل معمله الخاص في مبنى العتقاء ثم قال:

- يجب أن نهدأ حتى نستطيع...

قاطعه عبد الله قائلا:

- لا يمكنني أن أسمح بإتمام هذا الأمر، لا يمكنني أن أشاهد حياة تسلب، وحيوات أخرى تتحطم؛ وأنا أستطيع أن أوقف الأمر، ولا أفعل شيئا!

- ولكن إيقاف الأمر لن يأتي بغير ثمن، وثمن باهظ أيضا.

- الأمر سيكون اختياريا.. لو قبل فسيكون خياره، أما لو لم أفعل، فسألوم نفسي طوال الحياة .

- ولكنك اشتركت في الأمر منذ البداية، بل وشاركت في إعداد الآلة التي رصدت الشق، وكنت تعلم أننا سنشاهد شخصا يأخذه الشق .

- نعم؛ ولكنى لم أكن أتصور أن أشعر بهذا الألم والمرارة عندما نصل لتلك المرحلة.. ماذا لو أن كل ما نفعله خطأ منذ البداية؟

- إنه ليس خطأ، إنه..

قاطعه عبد الله قائلا:

- إن حياة الإنسان هي الأهم، وهي الشي الوحيد الذي لا يمكن أن يعوض. ماذا لو أن هذه هي فرصتنا الأخيرة لنفعل الأمر الصحيح؟ لنحقق القسم ..

صمت عادل، فقال عبد الله:

- بالله عليك يا رجل يجب أن تساعدني.. يجب أن نفعل شيئا

- لا، لا يمكنني مساعدتك.

- ولكنك وعدتني أن تكون بجواري عندما أحتاجك!

- إن سها ستجن لو فعلت أي شيء، وقد أذهب للسجن أيضا.

- ستجن نعم، ولكنك لن تذهب للسجن.. إن العتقاء لا يمكنها الاستغناء عن علمك وخبرتك، ألا يمكنك احتمال بعض الجنون من أجل صديقك؟

عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice

أصدر عادل بعض الهمهمات غير المفهومة، فأحس عبد الله أنه أوشك على الانكسار، فأكمل:

- لقد ضاعت ابنتي بسببي، وأنا بسبب ذلك أموت في اليوم ألف مرة.. أرجوك.. لقد وعدتني أن تفعل أي شيء لمساعدتي.. لقد وعدتني !

- لمساعدتك أنت، وليس شخصا آخر .

- إن مساعدتي هي مساعدة هذا الرجل وابنته.. يجب أن يعرف أنه ليس السبب فيما يحدث لابنته.. يجب أن يعرف أن هناك طريقة لإنقاذها .أتذكر حين كاد زواجك أن ينتهي وأنا أنقذته؟ يومها أخبرتني أنك تدين لي؛ وأنا أريدك أن تردها الآن.

مضت لحظات من الصمت، ثم زفر عادل بقوة، وتلفت حوله كأنما يبحث عن أحد يراقبه، ثم قال:

- حسنا.. ماذا تريدني أن أفعل؟



١٤

مسحت ميادة الدموع الهاربة من عينيها بيدها، ثم غطت وجهها بكفيها، وزفرت بمنتهى القوة، ثم مسحت وجهها بيديها، والقت نظرة سريعة على ساعة يدها للمرة الثالثة خلال عشر دقائق.

لماذا تأخر إيهاب؟ لقد اتصلت به عندما تأكدت أن الأمر أكبر منها وأنها لا تعرف ماذا تفعل. لقد أكدت لها الدكتورة كاميليا أنها رأت صقرًا أسود يخرج من الحائط، ويلقى بكرة زرقاء في وجهها، ثم يحلق خارجا من النافذة.

الأمر يحدث حقا.. هناك وحوش حقيقية تطارد ابنتها، لا تعرف من أين أتوا ولا لماذا يطاردونها، ولكنهم يفعلون، وعليها أن تتعامل مع الأمر.

نهضت من مكانها، واتجهت نحو السرير الذي ترقد عليه نور، وجلست بجوارها تمسح رأسها، وتتطلع إلى الأجهزة المتصلة بجسدها، ثم أغلقت عينيها اللتين هربت دموعهما ثانية.

عادت ففتحت عينيها وهي تتذكر حينما كانت ترقد في نفس المستشفى، والأجهزة متصلة بجسدها، ولكن يومها كان أسعد أيام حياتها.. يومها رزقت بنور، أجمل شي حدث لها طوال حياتها.. يومها كان إيهاب يقف بجوارها يمسك يدها، ويخبرها بأن كل شيء سيكون على ما يرام. كم تفتقده تفتقد لمسته، صوته، دفئه.. إنها...

لكن نظرة لابنتها الذابلة أعادت الغضب ليتصاعد داخلها ثانية.. هو فعل هذا بها، هو من حطم كل شيء.. إنه لا يستحق...

هل تكرهه؟ لا تعرف، إنها تشعر بانفعالات كثيرة مختلفة، ولكن واثقة أن الأمور لن تعود كما كانت ثانية.

لم تنتبه ميادة إلى الثقب الدقيق في الحائط، والكاميرا التي تمر عب ناقلة كل ما يحدث إلى الأجهزة الموجودة في الغرفة المجاورة لها، وحو وقف خمسة من الرجال..

- انظر إلى المنحنيات.. إنها ترتفع!

- مؤشرات الطاقة ترتفع أيضا.

- بقيت خمس ساعات فقط على فتح الشق.





١٥

هبط إيهاب من منزله بسرعة، متجها نحو سيارته. يشعر بالتوتر ـديد منذ اتصلت ميادة.. ماذا تعنى بأن الوحوش حقيقية؟ كيف ن هذا؟ لا يعرف، ولكنه متأكد أن الأمر خطير جدا، ولذلك فقط ـلت به تطلب منه المجئ بسرعة.

قبل أن يتحرك، اقترب عبد الله من السيارة بسرعة، ومال نحو افذة مدخلا رأسه عبرها وقال:

- تعال معي بسرعة، لو كنت تريد أن تنقذ ابنتك .

هذا ما كان ينقصه، مجنون يأتي ليعطله عن الذهاب لزوجته وابنته.. قال إيهاب في عصبية:

- ليس لدى وقت لهرائك .

مد عبد الله يده عبر الزجاج، وأمسك يده قائلا:

- اسمعني جيدا.. أنا الشخص الوحيد الذي يستطيع مساعدتك لإنقاذ ابنتك من الوحوش.

أفلت إيهاب يده من قبضته.. هذا المجنون يبدو مصمما ولن ينصـــ... ولكن مهلا!.. كيف عرف عن الوحوش التي تطارد نور؟ وقبل أن يتكلم، أخرج عبد الله بطاقة غريبة الشكل، ووضعها أمام عيني إيهاب قائلا:

- أنا الدكتور عبد الله، من كبار العلماء في مؤسسة الأبحاث السرية العنقاء، التابعة لوزارة الدفاع .

كان إيهاب قد سمع الكثير من القصص والأقوال عن العنقاء أثناء عمله، ولكن لا شيء مؤكد. تطلع إلى البطاقة للحظات.. تبدو حقيقية مثل المستعملة في الوزارة. حسنا، فليرى ما لديه.

- اركب

ركب عبد الله مسرعا ثم قال:

- انطلق بسرعة، فربما يكونون خلفنا.

- من؟

- رجال العنقاء

- لماذا يتبعوننا؟ ألست واحدا منهم؟

- أنا واحد منهم، ولكني هربت منهم لأساعد ابنتك. اذهب بنا إلى هذا العنوان بسرعة، لا وقت للشرح الآن .

ومد يده بورقة، ولكن إيهاب دفعها جانبا قائلا:

- أنا ذاهب إلى المستشفى لأكون بجوار ابنتي .

- لا يمكننا إضاعة الوقت بالذهاب هناك.. إن ابنتك لديها أقل من خمس ساعات قبل فتح الشق.

- أنا لا أعرف عن أي شيء تتحدث، ولكنني ذاهب لأكون بجوار ابنتي .

- وماذا ستفعل عند خروج الحراس؟ هل ستواجههم بنفسك؟

انتظر عبد الله للحظات، ولكن لم يجبه إيهاب، فقال:

- حسنا.. أوقف السيارة لأنزل .

- ماذا؟!

- إذا كنت لن تأتي معي، فأنا أضيع وقتي. إن ذهابي للمستشفى لن يقدم شيئا.

زفر إيهاب في ضيق وتوتر، ثم ضغط فرامل السيارة قائلا:

- كما تريد.

- آسف.

- لماذ..

وقبل أن يتم الكلمة، انتفض بمنتهى العنف، عندما سرت فيه الكهرباء من الصاعق الموجود في يد عبد الله .

- أيها اللـــ..

وأظلمت الدنيا أمامه قبل أن يكمل الكلمة، فتطلع عبد الله إليه للحظة ثم قال:

- لم تترك لي خيارًا





١٦

- لم يحضر أبي.

نطقت نور بالعبارة، ففتحت ميادة عينيها، وتطلعت إليها للحظات قبل أن تجد ردًا:

- ليس بعد؛ ولكنه سيحضر.

اعتدلت نور جالسة في الفراش، وقالت:

- كنت أعلم أنه لن يحضر .

- لا.. إنه في الطريق .

صاحت نور:

- لا.. إنه لن يحضر، لأنه يكرهنا .

كانت ميادة تريد أن تهدئها، لذلك لم تجادلها وضمتها إليها بقوة، ومسحت شعرها قائلة:

- أنا بجوارك، ولن أتركك أبدا .

ا

وعبر شاشةالمراقبة، تطلعت سها إلى المشهد، ثم سألت:

- هل نعرف أين إيهاب؟

- لا يا سيدتي، لقد فقدنا أثره منذ أكثر من ساعة .

- حسنا.. أريد من فريق العمليات الميدانية أن يبحث عنه بمنتهى السرعة

تحرك الرجل نحو الخارج، في حين دخل آخر قائلا:

- الدكتور عبد الله غير موجود في غرفته!

ولأول مرة يراها العاملون تفقد برودها الأسطوري، عندما صاحت والدم يغلي في عروقها:

- كيف حدث هذا؟

تردد الرجل للحظات فصرخت:

- كيف خرج؟

- لقد قام بالعبث بكاميرات المراقبة، وجعلها تعرض بثا قديما لعمله في المعمل، ثم تسلق عبر فتحات التهوية إلى خارج الطابق:

وبمزيد من الصراخ:

- أريد فريقا من رجال العمليات الخاصة لتعقبه وإحضاره لي الآن.. لا يهمني حيا أو ميتا؛ المهم أن تحضروه بمنتهي السرعة.. هل تفهمني؟

- نعم يا سيدتي.

- إذًا فلماذا مازلت هنا؟

أسرع الرجل يغادر الغرفة، فقالت لأحد الواقفين بجوارها:

- أبلغ نفس الأمر لرجالنا في المستشفى.

ثم ضربت الحائط بقبضتها مكملة:

- لو أفسد هذا الأمر، فأقسم أن أجعله يتمنى الموت فلا يجده.



١٧

كان الظلام يخيم على كل شيء، وإيهاب يشعر أنه ضائع بداخله، لا يعرف إلى أين يتجه .

وفجأة سمع صراخ نور..

- انقذني يا أبي.. انقذني من الوحش

تلفت إيهاب حوله، ولكنه لم يرها فصرخ:

- نور أين أنت؟

- أنا ..

صوتها يبتعد..

- هنا!!!!!!!!!

- نووووووور

ثم انتفض جسده كمن صعقته الكهرباء، وفتح عينيه، فاخترقتهما أسهم الضوء، فأغمضهما ثانية لثوان ثم فتحهما. كان مقيدًا في مقعد ضخم، وأمامه الدكتور عبد الله يعمل على آلة ما، فتطلع إليه للحظات ثم صاح:

- فك وثاقي الآن أيها اللعين.

قال عبد الله:

- اهدأ يا سيد إيهاب، وأرجو أن تعذرني على طريقة إحضارك لهنا، ولكنها الطريقة الوحيدة لإنقاذ ابنتك.

- الطريقة الوحيدة لإنقاذ ابنتي هي تقييدي هنا!

- اهدأ فقط، وسأخبرك بكل شيء .

حاول إيهاب التخلص من قيوده أكثر من مرة، ولكن بلا فائدة. ليس أمامه حل إذًا سوى الاستماع لعبد الله..

- حسنا، أخبرني ما لديك .

- في البداية، يجب أن تعرف أن كل ما حدث لابنتك ليس بسببك، ولكن بسبب شق زمني .

تساءل إيهاب:

- شق زمني!.. ما هذا؟

صمت عبد الله للحظات ثم قال:

- شق الزمن هو التغير الذي يُحدث في طاقة مجرى الزمن تغيرًا، يجعل مؤشرات الطاقة تقفز إلى أعلى حد، ثم ترتفع منحنيات الزمن من المستوى الأول إلى المستوى السابع، ومنحنيات المستوى الثاني إلى التا...

بتر عبارته عندما لاحظ عدم الفهم على وجه إيهاب، وبحث في ذهنه عن تقريب للصورة..

- هل سألت نفسك يوما كيف يمر الزمن؟ لماذا نتحرك دوما للأمام؟ لماذا لا نعود للوراء؟ لماذا لا تستيقظ فتجد الغد هو البارحة؟

لم يجب إيهاب، فأكمل عبد الله:

-سأحاول تقريب الصورة.. أريدك أن تتخيل أن هناك شيئا ضخما يتحرك خلفنا، ويدفعنا للأمام دائما، ويمنعنا من العودة.. شيئا مثل جدار ضخم.

- جدار الزمن!

- ليس جدارا بالمعنى المفهوم.. أخبرتك أنني أحاول تقريب الصورة. والآن أريدك أن تتخيل حدوث شقوق في هذا الجدار، ماذا سيحدث عندها؟

- سنعود للوراء؟

- الحق أنه لا أحد يعلم ما يحدث بالضبط، ولكن ما نعلمه أن حياة هذا الشخص تنقلب رأسا على عقب، تطارده الكوابيس، ثم هلاوس سمعية وبصرية، ثم يخرج الصقر الأسود ويضع العلامة عـــ..

قاطعه إيهاب قائلا:

- ميادة أخبرتني عن الصقر الذي خرج من الحائط وألقى شيئا ما في وجه نور!

قال عبد الله:

- الصقر يقوم بوضع العلامة على الشخص المقصود، مما يعني أن أمامه ست وثلاثين ساعة قبل خروج الحراس ليأخذوه

- أي حراس؟ ويأخذوه إلى أين؟

- حراس مجرى الزمن يعبرون الشقوق لأخذ الشخص، ثم يعودون ويغلقون الشقوق خلفهم.

- وماذا يحدث للشخص الذي أخذوه؟

- لا أحد يعرف.. ولكن العنقاء تأمل في معرفة ذلك مع ابنتك، فقد قاموا بتثبيت أجهزة داخل جسدها، حتى يتمكنوا من مراقبتها بعد دخولها الشق.

بصق إيهاب ثم صرخ:

- عليكم اللعنة! تجرون تجاربكم على الأطفال!.. أقسم أن..

قاطعه عبد الله قائلا

- لم نجر أية تجارب على أحد.. لا أحد يتحكم في الشق.

- ولماذا لم تخبرونا منذ البداية؟ لماذا لم تساعدوها؟

- إننا نتابع شقوق الزمن منذ ثلاث سنوات، ولكننا دائما كنا نرصد الشق قبل نهايته بقليل. إن ابنتك هي أول مرة نرصده منذ بدايته، لذلك أردنا أن نكمل الأمر للنهاية، لنعرف كل ما يمكننا معرفته عن الشق. لا أحد يمكنه تخيل القوة التي ستكون بين أيدينا لو سيطرنا على شق الزمن.. إنها قوة بلا حدود

- ولماذا تساعدني أنت؟

- لأنني أعتقد أن الأمر الصحيح هو أن ننقذ ابنتك؛ أما الشق، فيمكن تعويضه.

- ماذا؟ الأمر الصحيح كي..

قاطعه عبد الله قائلا:

- إننا نعرف كل شيء عنك، والآن هل تصدقني؟

- لا أعرف، الأمر يبدو كأفلام الخيال العلمي.

وضع عبد الله صورة للدكتور علام أمام وجهه قائلا:

- حسنا هل تذكر هذا الرجل؟

- إنه أستاذ الكيمياء، الذي اختفى العام الماضي وأصاب أحد المعيدين الجنون، فراح يهذى عن حشرات عملاقة أخذته إلى داخل الجدار.

- حسنا.. ولو افترضنا جنون المعيد، فلدينا أقوال العاملين إن الدكتور دخل المعمل ولم يره أحد يغادره، وعندما دخلوا كان قد اختفى، فأين ذهب؟

- ربما..

قاطعه عبد الله قائلا، وهو يقرب منه صورة أخرى..

- والآن هذه صورة للمعيد، التقطت بالأمس. انظر إلى الجراح على جسده!.. لم تلتئم على الرغم من مرور عام على الحادث.

اتجه نحو أحد الأجهزة، وضغط أزراره للحظات، فظهرت على الشاشة صورة لحجرة المستشفى، حيث ترقد نور، ووالدتها جالسة على الفراش بجوارها. قال عبد الله:

- لقد نجحت في اختراق كاميرات مراقبة العنقاء، وأنا أنقل لك الآن ما يحدث.

ثم ضغط أزرارا أخرى، فانقسمت الشاشة لنصفين، وعلى النصف الآخر ظهرت صورة الحجرة المجاورة، مليئة بالأجهزة ورجال العنقاء يعملون عليها. قال إيهاب:

- وماذا سنفعل؟

- هناك آلة صممتها أنا والدكتور عادل، أعتقد أنها قادرة على إغلاق الشق.

- تعتقد؟

- نعم، فالآلة لم تختبر بعد، واحتمالات نجاحها ستون بالمائة فقط.

- فلتجربها، ماذا ستخسر؟

- ليس الأمر بهذه السهولة.. فلكي تقوم الآلة بإغلاق الشق، فإننا سنحتاج إلى شخص يحمل نفس البصمة الوراثية للشخص الذي سيأخذه الشق.

- وماذا سيحدث لهذا الشخص؟

- سيموت.

وصمت لحظة ثم أضاف:

- للدقة.. سيحرق حيا.

انتفض إيهاب في ذعر..

- ماذا؟ يحرق حيا!

- نعم.. الآلة ستطلق جسده عبر الفراغ الزمكاني، مما سينتج عنه حرق جسده حيا، ثم تقوم بتوجيه الطاقة الناتجة لغلق الشق. لقد فكرت في والدها، ولكني عرفت أنها ليس لديها القوة لتفعلها؛ لذلك أتيت إليك، والآن أنت تعرف كل شيء، والخيار خيارك. ولكن يجب أن تقرر سريعا، فابنتك لم يعد لديها الكثير من الوقت.

نهض عبد الله، وفك وثاق إيهاب هامسا:

- افعل الأمر الصحيح.

ثم تراجع ليجلس على مقعد في الخلف.

لم ينهض إيهاب من على المقعد.. رأسه مشتعل بعشرات الأفكار.. ماذا يفعل؟ أي أمر هو الصحيح؟ إن الأمر غاية في التعقيد.. شق سيمنح وطنه قوة لا يعرفها أحد، ولكن هذا يتطلب منه التضحية بابنته للمرة الثانية، وهذه المرة أسوء وأخطر، فلا أحد يعرف ماذا سيحدث لها.. لا أحد يعرف ماذا يحدث خلف الجدار!

والحل الآخر هو التضحية بحياته، وبأبشع وسيلة ممكنة: حرقه حيا. إنه يقشعر لمجرد ذكر الكلمة!

ماذا يفعل؟ ماذا يفعل؟ أين الأمر الصحيح؟

وماذا لو أن عبد الله هذا يكذب؟ ماذا لو أنه مجنون؟ ماذا لو كان مخطئا؟ ماذا لو... ماذا لو.....؟

ماذا يفعل؟

تك تك تك

عقارب الساعة أصابها الجنون، ونظرات عبد الله تستحثه ليختار، وكأن الاختيار سهلا !

رفع رأسه لأعلى، وصرخ بأعلى صوته:

- ماذا تكون أيها الأمر الصحيح؟

١٧

- ما هذا الصوت؟

قالتها نور، فأصخت ميادة السمع للحظات، ثم سألتها في قلق:

-أي صوت؟ أنا لا أسمع شيئا

أنصتت نور.. ولكن الصوت اختفى فخيم الصمت للدقائق حتى عاد الصوت أكثر قوة فقالت ميادة هذه المرة..

- ما هذا الصوت؟

برعب ممتزج بلهفة قالت نور:

- أنت تسمعينه؟

نهضت ميادة، وتلفتت حولها فما وجدت إجابة.. ثم توقف بصرها المذعور عند نقاط سوداء صغيرة تنتشر، لتغطي الحائط بأكمله، ثم تنمو بسرعة، حتى أصبحت في حجم العملات المعدنية

جذبت نور من ذراعها قائلة:

- لنخرج من هنا

جرت بها نحو الباب وجذبته بقوة؛ ولكنه لم ينفتح.. أصبح الأزيز أكثر قوة، فضربت الباب بقبضتيها صارخة:

- افتحوا الباب.. النجدة!

ومن البقع السوداء، بدأت الحشرات حارسة الشق في التدفق، حتى ملأت فراغ الغرفة، وراحت تدور داخلها للحظات، ثم انقضت على نور!

١٨

- إنه هنا في هذه البناية

هبط الفريق من السيارة وأسرعوا نحو المدخل، ومعهم الدكتورة سها تصيح:

- بسرعة.. يجب أن نقبض عليه قبل أن يفسد الأمر.

تسابق الجميع على السلم، حتى وصلوا إلى الشقة، فحطموا بابها ودخلوا. توقفوا للحظات، ثم أسرعوا نحو الغرفة المضاءة.

كان إيهاب جالسًا على مقعد غريب الشكل، وعشرات الأسلاك متصلة برأسه وجسده، وعبد الله واقف بجواره يضغط على الأزرار، ويتحدث مع شخص آخر عبر سماعة في أذنه

- قم بالتفعيل الآن يا عادل.

صرخت سها:

- ابتعد عن الآلة!

أكمل عبد الله عمله، فصرخت ثانية:

- ابتعد أو أطلق النار عليك.

ولما كان رد الفعل مزيدا من التجاهل، صرخت في جنون:

- أطلق النار عليه

تردد الواقفون، فاختطفت مسدس من حزام الواقف بجوارها، ثم أطلقت رصاصتين أصابتا عبد الله في صدره صارخة:

- أنت أردت هذا.

انتزعت الرصاصتان عبد الله من مكانه، وضربته بالحائط بمنتهى القوة، والدماء تسيل من صدره لتسحب حياته معها..

ولكن لا.. لا يمكن أن يتوقف، مازال هناك زر أخير يجب أن يضغطه، حتى يتمكن عادل من تفعيل الآلة.

- لقد حذرتك، ولكنك أردت هذا.

استجمع قوته كلها لينهض..

- ماذا...

وبكل قوته هوى على الزر الأخير، ثم تهاوى بجواره.

تألق جسد إيهاب، كما لو أن في داخله ألف مصباح، فغطت سها عينيها بيدها، وتراجعت صائحة:

- اللعين فعلها.. ليخرج الجميع من هنا.

وزاد تألق جسد إيهاب حتى أخفاه الضوء، ثم تلاشى جسده دفعة واحدة.

١٩

كان صراخ نور وميادة وضرباتهم على الجدران الممتزج مع أزيز الحشرات يصنع سيمفونية مرعبة للغاية، حتى يئستا من قدوم المساعدة، فانهارت نور بجوار الحائط، بينما وقفت ميادة أمامها كدرع يحجبها بجسدها، وهي تضرب الهواء بيدها في استماتة، لإبعاد الحشرات أو الكائنات. ولكن الحشرات انقضت عليها تعضها في ذراعيها، فصرخت:

- أين أنت يا إيهاب؟

وفجأة تحطمت نافذة الحجرة، ودخلت سحابة صفراء اللون تشبه رمال الخماسين، فأطلقت الحشرات أزيزا غاضبا، وحاولت أن تحلق مبتعدة، ولكن السحابة انقضت عليها وأحاطت بها تماما فاستحال أزيزها أشبه بالصراخ. ثم اتجهت السحابة بالحشرات نحو الجدار، الذي استحال أسود اللون بالكامل، ثم عبرت بها الجدار تدريجيا، حتى اختفى اللون الأسود وعاد الجدار كما كان.

شهقت ميادة..

- نور.. نور

ولكن دون إجابة!

٢٠

تحركت ميادة للأمام والخلف على كرسي هزاز في شرفة المنزل، وهي تتطلع إلي نور المستغرقة في اللعب بدمية صغيرة على الأرض بجوارها. مر شهاب في السماء، فقفزت نور من مكانها، وأشارت نحوه قائلة:

- انظري!.. نجم ذو ذيل!

ابتسمت ميادة:

- تمنّي أمنية، ولكن لا تخبري بها أحدًا.

أغمضت نور عينيها وهمست:

- أتمنى أن يحبني أبي.

تمت بحمد الله





عصير الكتب

Facebook.com/groups/Book.juice